المؤتمر العلمي الدولي المتخصص في اللغة والأدب في دورته الثالثة
الموسوم بـــ(اللغة العربية حية بانتمائها نامية بجهود أبنائها)
كلية التربية أبوعيسى – فسم اللغة العربية – جامعة الزاوية – 2023م

"سورة المنافقون" دراسة أسلوبية تحليلية

عبد العزيز خليفة عبد السلام القماطي
كلية التربية الزاوية
جامعة الزاوية

توطئة:

بدأ البحث بتحليل آيات هذه السورة حسب تسلسلها، فتم التطرق إلى الجانب الأسلوبي: كالتقديم والتأخير، والحذف، والذكر، والالتفات، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، كما تطرق إلى اللمسات الفنية كالتشبيهات، والاستعارة، والجناس، والمطابقة، والسجع، وغيرها من اللمســـات البديعية المهمة الواردة في ثنايا هذه الآيات البديعة.

منهجية البحث: يتناول البحث منهجية التحليل الأسلوبي لسورة المنـــافقون، ودراســـتها دراسة تطبيقية فنية تحليلية للآيات من جميع جوانبها الأدبية واللغوية.

أهداف البحث:

ـــ سيساهم هذا البحث في إثراء المكتبة العربية في جانب التحليل الفني الأسلوبي للقـــرآن الكريم، مما يتيح الفرصة لطلاب الدراسات العليا للاستفادة منه في تحليل النصوص والآيات القرآنية.

ـــ بيان ما في القرآن الكريم من بلاغة عجز فصحاء العرب على الإتيان بمثلـــها، وكشـــف جوانب الجمال البديعي والفني الذي تحمله هذه السورة.

مشكلة البحث: الاتجاه المباشر للحداثة، وغض الطرف تماما عن النصوص القديمة، ومـــا تحمله البلاغة العربية من جمال، وارتباط موضوعات الحداثة بالقديم.

الخاتمة: أما الخاتمة التي سيذكر فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصـــل إليهـــا البحـــث، واستعراض الهوامش والمراجع.

وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب

التحليل الفني الأسلوبي

ملخص البحث:

في هذا البحث تم تحليل هذه الآيات حسب تسلسلها في السورة، فتناول الجانب الأسلوبي: كالتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والالتفات، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، وتطـرّق إلى لمسات فنيّة كالتشبيهات، والاستعارة، والجناس، والمطابقة، والسجع، وغيرها من اللمسات البديعيـة المهّمة الواردة في ثنايا هذه الآيات البديعة.

سبب اختيار الموضوع: ثم اختيار الموضوع المعنون "سورة المنافقون دراسة أسلوبية تحليلية، وذلك لتوجه البُحّاث في الوقت الحالي إلى موضوع الحداثة وغض الطرف عن البلاغة العربية.

منهج البحث:اعتُمِد في هذا البحث المنهج التحليلي الفني في شامل سورة المنافقون.

أهداف البحث:

1. يثري هذا البحث المكتبة العربية خاصة في الجانب الأسلوب البلاغي.
2. كشف ما في سور القرآن الكريم من أساليب بلاغية جميلة أدت إلى تناسـق كـبير في الجـانبين الأسلوبي والفني.
3. أسهم البحث في إبراز جماليات النص القرآني من خلال الأسلوب الفني البلاغي.

1- ﴿ إِذَا جَآءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

يعلم الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن المنافقين قالوا: نشهد إنك لرسول الله: فيجـوز قولهم: (نشهد إنك لرسول الله) حكياً بالمعنى لقولهم عبارات كثيرة تفيد بأنهم يشهدون بأنه رسول الله مثل نطقهم بالشهادة[2].

وجواز تواطئهم على هذه الكلمة كلما أعلن أحدهم إسلامه، وهذا يليق بكلمة قالوا: دون نحو: زعموا.

وجاءت (إذا) ظرف للزمان الماضي بقرينه جعلت جملتيها ماضيتين، والظرف متعلق بالفعل (قالوا) وهو جواب (إذا) وهنا المعنى: إنك تعلم أنهم يقولون إنك لرسول الله، وقول (نشـهد) خـبر مؤكد لأن الشهادة إخبار عن أمر مقطوع به إذ اشتقت من المشاهدة أي المعاينة، وهي أقوى طـرق العلم، ولذلك كثُر استعمال: أشهد ونحوه من أفعال اليقين معنى القسم. وذلك يعني أن قول (نشـهد) ليس إنشاء. والمنافقون جمع منافق الذي يظهر الإيمان ويُسرّ الكفر[3].

وجملة (إنك لرسول الله) بيان لجملة (نشهد)، وجملة (والله يعلم إنك لرسوله) معترضة بين جملتين متعاطفتين وهو ما دفع إيهام من سمع جملة (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أنه تكذيب لجملة

(إنك لرسول الله) فالمسلمين يومئذ محفوفين بفئات من المنافقين متواجدين بينهم لبثّ الفتنة داخلهم، فاقتضى المقام دفع الإيهام وهو من الاحتراس[4].

ولوجود (إنّ) في أول الجملة عُلّق الفعل (يعلم) عن العمل، وقد عدّوا (إنّ) التي في خبرها لام ابتداء من المعلقات لأفعال القلب عن العمل بناء على كون لام الابتداء في الحقيقة لام جواب القسم، وحقها أن تقع قبل (إنّ) ولكن زُحلقت في الكلام كراهية اجتماع مؤكدين متصلين، وجملة (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) عطف على جملة (قالوا نشهد) [5].

وتقدّم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية الحكم، وجاء الفعل (يشهد) في الإخبار عن تكذيب الله تعالى إياهم مشاكلة ليكون إبطال خبرهم مساوياً لإخبارهم، والكذب: يخالف ما يفيده الخبر للواقع في الخارج، أي الوجود فكون المنافقون كاذبون يعني أنهم كاذبون في إخبارهم عن أنفسهم بأنهم يشهدون بأن محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسول الله لأن خبرهم يخالف ما في أنفسهم فهم لا يشهدون به ولا يوافق ما في نفوسهم، وجملة (إنّ المنافقين لكاذبون) مبنية لجملة (يشهد) مثل سابقتها.

وفي الآية استئناف بياني كون تكذيب الله تعالى إياهم في قولهم للنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ (نشهد بأنك لرسول الله) يثير في نفس السامع سؤالاً عن إيمانهم لدى النبي – صلى الله عليه وسلم- لأنهم مؤمنون به وأنهم لا يضمرون البغض فأخبر الله عنهم بأنهم اتخذوا أيمانهم ليتقوا بها، فوصفهم الله بالحلف بالأيمان الكاذبة في كثير من آيات القرآن[6]، وهذا ما يراه الباحث إبداع في جمال البلاغة القرآنية.

2- ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[7].

تعني (الجُنّة) : ما يستتر به ويتقى ومنه سميت الدرع جُنّة، أي جعلوا أيمانهم كالجُنّة يتقى بها ما يلحق من أذى[8].

على طريق التشبيه البليغ شُبهت الأيمان بالجُنّة، لذا أتبع ذلك بتشبيه الحلف باتخاذ الجُنّة، أي استعمالها.

الاستعارة في (اتخذوا) ليس خاصاً بحلف عبد الله بن أُبيّ أنه قال: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) كما جاء في ذكر سبب نزولها بل أعم من ذلك، لذا حمل الوجه ضمائر الجمع في قوله (اتخذوا أيمانهم) الآية على حقيقتها أي اتخاذ المنافقين أيمانهم جُنّة وتلك كانت تقيتهم أي معروفة فيهم[9].

وقوله تعالى ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ تفريع لصد المنافقين عن سبيل الله على الحلف الكاذب كون اليمين الفاجر من كبائر الإثم وما فيها من الاستخفاف بجانب الله تعالى.

ولما حلفوا على الكذب ظنوا أنهم آمنوا اتهام المسلمين لهم بالنفاق فاستمروا على الكفر والمكر بهم وذلك صداً عن سبيل الله وإعراضاً عن الأعمال التي أمر الله بسلوكها[10].

وقصر الفعل (صدّوا) الذي مضارعه (يَصِدُّ) بكسر الصاد، وجملة (إنهم ساء ما كانوا يعملون)، تذييل لجعل حالهم فظيعة عند السامع، وساء من أفعال الذم اللاحقة ببئس على تقدير تحويل الصيغة عن فَعَل المفتوح العين إلى فَعُل المضمومة قصد إفادة الذم مع إفادة التعجب بسبب التحويل[11]، وهو ما يُعطي دلالة للانسجام والتناسق في الأسلوب البلاغي والنحوي، مما يُبين الإعجاز الذي انفرد به القرآن الكريم.

وقوله تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ في موضع العلة لمضمون الجملة، والإشارة لقوله ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي سبب إقدامهم على الأعمال السيئة تعجباً من سوءها، لاستخفافهم بالأيمان ورجوعهم للكفر مرة أخرى، فرسخ في نفوسهم الكفر وتجرأوا على الجرائم حتى صارت قلوبهم كالمطبوع عليها أي لا يخلص إليها الخير[12].

3- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[13].

جاء قوله: (بأنهم آمنوا) خبر عن اسم الإشارة، وتعني الباء السببية، وثم للتراخي الرتبي كون إبطال الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح وكفرهم أرسخ فيهم من إظهار أيمانهم، ويجوز أن يكون المراد مع ذلك التراخي هو المهلة، فإسناد الفعل (آمنوا) إليهم إخباراً عنهم بأنهم قبل ذلك كاذبون عندما قالوا: (نشهد إنك لرسول الله) واستُعمِل في حقيقته ومجازه لذا مراتب المنافقين تتفاوت في النفاق وشدة الكفر، فهناك من آمنوا لما سمعوا آيات القرآن أو لاحت أنوار من النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم تثبت في قلوبهم، ليرجعوا إلى كفرهم بعد لوم أصحابهم عليهم أو إلقاء الشك في نفوسهم[14]، وهناك من خالجهم خاطر الإيمان فترددوا أو قاربوا أن يؤمنوا نكصوا على أعقابهم ليشابه أول حالهم حال المؤمنين حين خطر الإيمان في قلوبهم، وهناك من أظهروا إيمانهم كذباً، وهذا هو الفريق الأكثر، وما أظهروه ليس في شيء من الإيمان[15].

ومثل هذا الفريق إطلاق اسم الإيمان عليه مجازاً بعلاقة الصورة، وعليه يجوز أن يكون (ثم) استعمل في معنييه الأصلي والمجازي علي ما يناسب محمل الفعل (آمنوا)، ولو حمل المنافقون على أحد معين هو عبد الله بن أبيّ جاز أن يكون آمن ثم كفر، ليكون إسناد (آمنوا) حقيقة، وتكون (ثم) للتراخي في الزمان، وتفريع (فهم لا يفقهون) على قوله (آمنوا ثم كفروا) فصار الكفر بعد الإيمان على ما سبق من الوجوه سبباً في سوء أعمالهم بمقتضى باء السببية، وسبباً في نفس إدراكهم للحقائق النظرية بفاء التفريع[16].

والفقه هو: فهم الحقائق الخفية، والمعنى: لا يدركون دلائل الإيمان ليعلموا حقّيته، هذا بعض أحوالهم التي لا يبرزونها عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولكن تبرز من مشاهدتهم، فكان الأولى

الافتتاح بـــ(إذا جاءك المنافقون) لذا جملة (وإذا رأيتهم) معطوفة على جملة (فهم لا يفقهون) لوقوعها موقع الاحتراس والتتميم دفعاً للإيهام لمن يغره ظاهر صورهم، واتبع نفي فقه عقولهم بالتنبيه على عدم الاغترار بحسن صورهم كونها أجسام خالية عن كمال الأنفس[17].

4- ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[18].

جاءت جملة (وإن يقولوا تسمع لقولهم) معترضة بين جملتي (وإذا رأيتهم) و(كأنهم خُشُب مسنّدة)، ويُراد بالسماع في قوله: (تسمع لقولهم) الإصغاء إليهم لحسن إبانتهم وفصاحة كلامهم ليغرروا بحلاوة كلامهم المعاني التي تموه حالهم على المسلمين، واستعملت اللام في قوله (لقولهم) لتضمين (تسمع) بمعنى: تُصْغ أيها السامع، فلا فائدة في الإخبار بالسماع لولا أنه ضمن معنى الإصغاء لوعي كلامهم[19].

وجاءت جملة (كأنهم خُشُب مسنّدة) مستأنفة استئنافاً بيانياً إجابة عن سؤال نشأ عن وصف حسن أجسامهم وذلاقة كلامهم، فهو صورة لمدح لا يناسب ما قبله من ذم لترقب السامع ما يرد بعد هذا الوصف، ويجوز أن تكون الجملة حالاً من ضميري الغيبة في قوله: (رأيتهم تعجبك أجسامهم)، أي أن حسن صورهم لا تنفعهم ولا تنفع المسلمين[20].

و(خُشُب) بضم الخاء وضم الشين جمع خشبة بفتح الخاء وفتح الشين لم يحفظ إلا في ثمرة، وقيل: ثُمر جمع ثمار الذي هو جمع ثمرة ليكون ثُمر جمعُ الجمع. وتكون خشب على مثال جمع الجمع وإن لم يسمع مفرده، وقيل: خُشْب بضم فسكون وهو جمع خشبة لا محالة[21].

وورد تشبيه التمثيل عندما شُبهوا بالخُشب المسندة في حسن المرأى وعدم الجدوى، لتفيد أن أجسامهم المعجب بها ومقالهم المصغى إليه تخلوان من النفع كخلو الخشب المسندة عن الفائدة، فإذا رأيتموهم ظننتم أنهم أرباب لب وشجاعة وعلم ودراية، وإذا اختبرتموهم وجدتموهم خلاف ذلك فلا تحتفلوا بهم[22]، وهو ما يراه الباحث إبداع في الأسلوب وشاهد على الإعجاز القرآني.

جاءت هذه الجملة بمنزلة بدل البعض من مضمون جملة (كأنهم خُشُب مسنّدة) من مخالفة باطنهم المشوّه لظاهرهم المموّه، فهم جبناء في صورة شجعان، وهو من جملة ما فضحته هذه السورة من دخائلهم ومطاوي نفوسهم، هكذا قدمتهم الآيات السابقة، وإن اختلفت المواقع في تفنن أساليب النظم، فهي اشتركت في تنبيهها على أسرارهم، و(الصيحة): المرة من الصياح، وذلك لسوء ما يضمرونه للمسلمين من عداوة، وتوجسهم خفية من انكشاف أمرهم فهم خائفون وفي هلع إذا سمعوا صيحة في خصومة أو إنشاد ضالة خشية أن يكون ذلك غارة من المسلمين عليهم ليوقعوا بهم[23].

و(كلّ) استعملت في معنى الأكثر لأنهم يتوجسون خوفاً من صياحات لا يعلمون سببها، وقوله: (عليهم) ظرف مستقر ومفعول ثانٍ للفعل (يحسبون) وليس متعلقاً بـــ(صيحة)، وتكون

استئنافاً بيانياً جوازاً ينشأ عن جملة (يحسبون كل صيحة عليهم) لغرابة معنى الجملة فهي تثير سؤالا عن سبب الهلع والخوف من تخيلاتهم من بأس المسلمين فالإجابة عن ذلك أعداء ألدّاء ينظرون للمسلمين بمرآة نفوسهم بينما هم يتربصون بهم الدوائر ويتمنون الوقيعة بهم تجدهم يظهرون لهم المودة، كما يظنون أن المسلمين يتربصون بهم ويضمرون البطش بهم، وتنزل الجملة جوازاً بمنزلة العلة لجملة (يحسبون كل صيحة عليهم) على هذا المعنى أيضاً[24].

وتكون استئنافاً ابتدائياً جوازاً لذكر حالة من أحوالهم على المسلمين معرفتها ليترتب عليها تفريع (فاحذرهم) ولذا كان نظم الكلام وفّى كل التقارير الغرض منها فضح دخائلهم، وفي (العدو) تعريف الجنس الدال على معين لكمال حقيقة العدو فيهم، كون أشد الأعادي هو الذي يتظاهر بالمولاة وهو مداح وتحت ضلوعه الدّاء، عليه رُتب الأمر بالحذر منهم[25].

وجاءت كلمة (العدّو): اسم واقع على الواحد والجمع، ومرادها: الحذر من الاغترار بظاهرهم الخلاب لئلا يُخلص إليهم المسلمون بسرهم ولا يتقبلوا نصائح منهم خشية المكائد، وهذا الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم- لتبليغه للمسلمين وتحذيرهم، ووردت (أنّى) هنا استفهام عن مكان، وأصلها ظرف مكان، ويكثر تضمينه في معنى الاستفهام في استعمالاته، وأحياناً يكون للمكان المجازي فيفسر بمعنى (كيف) للاستفهام، و(أنى يؤفكون) استُعمل في التعجيب المجاز المرسل كون الأمر العجيب من شأنه الاستفهام عن حال حصوله، لذا الاستفهام عنه من لوازم أعجوبته، وجملة (أني يؤفكون) بيان للتعجيب الإجمالي المفاد بجملة قاتلهم الله[26]، وهنا يظهر الجمال البلاغي في استخدام أسلوب المجاز.

ومعنى (يؤفكون) يصرفون يقال: أفكه، إذا صرفه وأبعده، ويراد بذلك: صرفهم عن الهدى، وكيف يمكن لهم أن يصرفوا أنفسهم عن الهدى، أو كيف يمكن لمضلليهم أن يصرفوهم عن الهدى مع وضوح الدلائل[27].

5- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[28].

تعني ولّى الرؤوس: إمالتها إلى جانب غير وجه المتكلم، وإعراضاً عن كلامه، لأنهم أبوا أن يستغفروا كونهم ثابتون على النفاق، أو غير راجعين فيما قالوه من كلام سيء في جانب المسلمين، أو ليكونوا غير ملزمين بالاعتراف نسب إليهم من النفاق، و(لوّوا) قرأها الجمهور بتشديد الواو الأولى مضاعف لوى دلالة على الكثرة، ولوى جمع كثير منهم رؤوسهم، وفي قراءة أخرى بتخفيف الواو الأولى اكتفاء بإسناد الفعل إلى ضمير الجماعة، و(رأيتهم) فيها خطاب لغير معيّن، بمعنى ورأيتهم يا من يراهم حينئذ[29].

وجاءت في جملة (وهم مستكبرون) في موضع الحال من ضمير يصدون، بمعنى يصدون صدّ المتكبر عن طلب الاستغفار، والجملة المعترضة بين حكاية أحوالهم نشأت لتناسب قوله: (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووّا رؤوسهم)، وتركيب: سواء عليه أكذا أم كذا، وما جرى مجرى المثل نحو ما سبق فيلزم هذه الكلمات مناسبتها مع ضمائر المخبر عنه، ودليله استواء الأمرين لدى المجرور بحرف (على)، لذا يعقب بجملة تبين جهة الاستواء، كجملة (لن يغفر الله لهم) [30].

6- ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾[31]

هنا همزة (استغفرت لهم) أصلها همزة استفهام، وتعني: سواء عندهم سؤال السائل عن وقوع الاستغفار لهم، وسؤاله عن عدم وقوعه، فهو استفهام مجازي استعمل كناية عن قلة الاعتناء بكلا الحالين بقرينة لفظ سواء، لذا يسمى النحاة هذه الهمزة همزة التسوية[32]، يرى الباحث أن أسلوب الكناية جاء ليدل على جمال البلاغة في كل صورها.

و(لن يغفر الله لهم) جملة معترضة بين جملتين (سواء عليهم) وهم (هم الذين يقولون) فهي وعيد لهم وجزاء لاستخفافهم بالاستغفار من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً عن حال من أحوالهم، وجملة (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) تعليل لنفي مغفرة الله لهم لأن الله غضب عليهم فحرمهم اللطف والعناية، وهو من ضمن مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم يقولونها للذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالإسلام، وكأنهم يقولون لبعضهم تظاهر بالإسلام من غير الإنفاق نحو قولهم لمن يقول لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله، ولذا عُقِبت بها[33].

ويُعرب موقع الجملة الاستئنافية الابتدائية عن مكرهم وسوء نواياهم لتنتقل من وصف إعراضهم عن التقرب من الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى وصف لون آخر من كفرهم وهو الكيد للدين في صورة النصيحة[34].

7- ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّـهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[35]

ويعني (من عند رسول الله) من كانوا في رعايته نحو أهل الصُفّة ومن كانوا يلحقون بالمدينة من الأعراب العُفاة أو من كان يموّنهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزوة بني المصطلق[36]، ويظهر قوله (رسول الله) أنه صدر من عبد الله بن أبيّ ومعه المنافقين إذا كانوا قالوا هذا اللفظ جهراً في ملأ المسلمين وهم يتظاهرون بالإسلام[37].

واستعملت (حتى) في التعليل بطريقة المجاز المرسل؛ لأن معناها انتهاء الفعل المذكور قبلها وغاية الفعل أن ينتهي الفاعل عن الفعل إذا بلغها، فهي سبب لانتهائه وعلة له، ولا يعني ذلك إذا انفضوا فأنفقوا عليهم، كون الانفضاض: التفرق والابتعاد، وهي عطف على جملة (هم الذين يقولون

لا تنفقوا على من عند رسول الله) إبطال لمكر المنافقين في مقصدهم من قولهم متظاهرين بنصح المسلمين، ولو مشت حيلتهم عليهم فأمسكوا هم وبعض المسلمين عن إنفاق الأعراب.

ومن يأوون إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من العفاة فإنه لا يقطع عنهم الإنفاق وذلك دأبه، وهذه إجابة من باب طريقة النقض لكلامهم في مصطلح آداب البحث[38]، الانسجام والتناسق بين البلاغة والنحو أضفى جمالاً في الأسلوب.

والجمع (خزائن) مفردة خزانة بكسر الخاء، وهي المكان الذي تخزن فيه الطعام وتطلق على الصندوق الكبير الذي يخزن فيه المال على سبيل السعة، وعلى بيوت الكتب وصناديقها، و(خزائن السماوات) هي مقارّ أسباب حصول الأرزاق من غيوث وأشعة الشمس ورياح صالحة، فيوّفر ذلك الثمار والحبوب وخصب المراعي وتزايد النتاج[39].

8- ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[40]

في قوله: (ولله خزائن السماوات والأرض) تقدم المجرور لإفادة قصر القلب وهو قلب للازم قولهم لا صراحة، لأن المنافقين لما قالوا (لا تنفقوا على من عند رسول الله) يحسبون أنهم قطعوا إنفاقهم على من عند رسول الله فإنه لا يجد ما ينفق منه عليهم، مباشرة أعلم الله رسوله وأعلمهم تبعاً بأن ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع[41].

وجاء الاستدراك في قوله: (ولكن المنافقين لا يفقهون) لرفع ما يتوهم من قولهم: (لا تنفقوا على من عند رسول الله) بأنهم قالوا عن بصيرة ويقين بأن قطع إنفاقهم على الدين يلوذون برسول الله – صلى الله عليه وسلم– بقطع رزقهم فينفضون عنه بناء على أن قدرة الإنفاق منحصرة فيهم: كونهم أهل الأحوال، وهم غافلون عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر، وذلك يعني عدم إدراكهم لدقائق المدركات وخفاياها[42]، حيث تناسقت اللغة مع الأسلوب البلاغي لتبرز جمال وعظمة القرآن الكريم.

و(يفقهون) مفعولها محذوف، بمعنى لا يفقهون ذلك، وهو مضمون (لله خزائن السماوات والأرض)، أو أنزل الفعل منزلة اللازم للمبالغة في نفي فقه الأشياء عنهم في كل حال، وهو استئناف ثانٍ على أسلوب التعداد والتكرير، ولذا لم يعطف، ونحوه يكثر في مقام التوبيخ، وفي ذلك وصف لنواياهم الخبيثة لما أرادوا التهديد وإفساد إخلاص الأنصار ومؤاخاتهم مع المهاجرين بإلقاء هذا الخاطر في نفوس الأنصار ليبذروا الفتنة والتفرقة وينتهز خصومة حدثت بين شخصين من موالي الفريقين[43].

وتعني (الأعزّ): القوي العزة الذي لا يُقهر ولا يُغلب تفاوتاً في مقدار العزة فهي من الأمور النسبية، وتحصل العزة بوفرة العدد وسعة الحال والعدة، ويُراد ب (الأعز) فريق الأنصار كونهم أهل المدينة وأهل الأموال والأكثر عدداً من المهاجرين، فأراد ليخرجن الأنصار من مدينتهم من فيها من

المهاجرين، وكلاهم هذا أبطله الله بقوله: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فهو إجابة بالطريقة المسماة بالقول الموجب في علم الجدل، وما يسمّى بالتسليم الجدلي في علم آداب البحث، وذلك يعني: إن كان الأعز يخرج الأذل فإن المؤمنين هم الفريق الأعز، وعزتهم كون الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فيهم وبتأييد الله له، وأولياءه لأن عزة الله هي العزة الحق المطلقة، وعزة غيره ناقصة، كون أن أولياء الله هم الذين لا يقهرون إذا أراد الله نصرهم ووعدهم به، وإن كان هناك إخراج من المدينة فإنما يخرج منها أنتم أهل النفاق[44].

وتقدم المسند على المسند إليه في (ولله العزة) قصد القصر وهو قصر قلب، بمعنى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس لكم كما تحسبون، وإعادة اللام في قوله: (ولرسوله) لتأكيد عزة رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، حيث تعددت الأساليب البلاغية من التقديم والتأخير والقصر لبيان الإعجاز البلاغي.

وأنها سببها عزة الله ووعده إياه، وكذلك إعادة اللام في قوله (وللمؤمنين) للتأكيد، فهي تخفي عزتهم وأكثرهم في حال قلة وحاجة، والاستدراك في قوله: (ولكن المنافقين لا يعلمون) يناظر القول السابق في قوله: (ولكن المنافقين لا يفقهون). وعُدل عن الإضمار في قوله: (ولكن المنافقين لا يعلمون) فسبق اسمهم في النظير السابق لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل[45].

وصيغ الكلام في قالب توجيه النهي عن الإلهاء عن الذكر، إلى الأموال والأولاد ويراد نهي أصحابها، وهذا استعمال معروف وقرينته قوله: (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)، والأصل مجاز عقلي للمبالغة في نهي أصحابها عن الانشغال بسببها عن ذكر الله، فنزّل سبب الإلهاء منزلة اللاهي للملابسة بينهما وهو كثير في القرآن[46]، الآية السابقة جمعت بين الأساليب النحوية والبلاغية بشكل متناسق وبديع أعطى صورة جمالية لعظمة النص القرآني.

9- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[47].

جاءت (لا) في قوله: (ولا أولادكم) نافية وعاطفة أولادكم على أموالكم والمعطوف عليه مدخل (لا) الناهية كون النهي يتضمن النفي فهو طلب عمل الفعل فـ(لا) الناهية أصلها لا النافية وأشربت معنى النهي عن قصد النهي فجزمت الفعل حملاً على تضاد معنى لام الأمر، فأكد النهي عن الاشتغال بالأولاد بحرف النفي ليكون الاشتغال بالأولاد حظاً مثل حظ الأموال[48].

واستعمل (ذكر الله) في معنييه الحقيقي والمجازي، فشغل الذكر باللسان والصلاة وتلاوة القرآن، والتذكر بالعقل كالتدبر في صفاته امتثاله، والمعنى أن الاشتغال بالأموال والأولاد الذي لا يُلهي عن ذكر الله لا يُعد مذموم وله مراتب، ويدل قوله (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) على قول علماء أصول الفقه (النهي اقتضاء كف عن فعل)، وتلك الإشارة إلى اللهو عن ذكر الله بسبب الأموال

والأولاد، أي من ُيله عن ذكر الله، ويترك الذي أوجبه مثل: الصلاة في وقتها ويترك تـــذكر الله، أي مراعاة الأوامر والنواهي، فمتى كان اللهو عن ذكر الله بالانشغال بغير الأمـــوال والأولاد كـــان أولى بحكم النهي والوعيد عليه[49]، في الأسلوب السابق للبلاغة والنحو في النهي عن الانشغال عن ذكر الله بالأولاد والأموال بشكل بديع، والعاقبة هي خسران الدنيا والآخرة، حيث ورد المعنى بوضوح ليـــدل على سلاسة الألفاظ.

وضمير الفصل في قوله (فأولئك هم الخاسرون) أفاد قصر صفة الخاسر على الذين يفعلـــون الذي نهوا عنه، وهو قصر ادعاء للمبالغة في اتصافهم بالخسران، وكأن خسران غيرهـــم لا يُحســـب خسراناً نسبة إلى خسرانهم.

وجاءت الإشارة إليهم بـــ(أولئك) للتنبيه على أنهم استحقوا ما ورد بعد اســـم الإشـــارة بسبب ما ذكر قبل الاسم، والمعنى اللهو عن ذكر الله، وهو إبطال ونقض لكيد المنافقين في قـــولهم (لا تنفقوا على من عند رسول الله) ليعمّ الإنفاق على الملتفين حول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والإنفاق على غيرهم فكانت الجملة كالتذييل.

واستعمل الفعل (أنفقوا) في الطلب الشامل الواجب والمستحب فإن صيغة افعـــل مـــدلولها مطلق الطلب، وهو القدر المشترك بين الوجوب والندب[50].

10- ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِـــي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[51].

يشير قوله (من ما رزقناكم) أي أن الإنفاق المأمور به شكر لله على ما رزق المنفق، والشكر صرف العبد ما أنعم الله به عليه فيما خُلِق لأجله، و(من) للتبعيض، بمعنى بعض ما رزقنـــاكم، وهـــذه توسعة من الله على عباده، والبعض منه معيّن المقدار نحو: مقادير الزكاة وصدقة الفطر، وما يتعين بسدّ الخلة الواجب سدّها مع طاقة المنفق كنفقات الحج والجهاد والرباط ونفقات العيال الواجبة ومصـــالح المسلمين الضرورية، وما يتعين بتعين سببه كالكفارات، وما وكل للناس تعيينه وليس بواجـــب مـــن الإنفاق ذلك موكول إلى رغبات الناس في نيل الثواب فهو باب عظيم من القـــربى مـــن رضـــى الله تعالى[52].

ولما في الإنفاق من الخير ذكر الله المؤمنين بأن عليهم أن يكثروا منه ما دامت لديهم القدرة قبل الفوت، بمعنى قبل تعذر الإنفاق والإتيان بالأعمال الصالحة، ويكون ذلك عندما يُحسّ المرء بحالـــة تؤذن بقرب الموت ويُغلب على قواه فيسأل الله تأخير موته وأن يشفيه ليأتي بكثير من الحسنات الـــتي فرط فيها طمعاً في أن يستجاب له فإن تأخر أجله فلعل الله يستجيب له، وإن لم يكن في أجله تـــأخير أو لم يُقدَر له الاستجابة فإنه خير كثير[53].

وعُدّ (لولا) حرف تحضيض، والتحضيض الطلب الحثيث المضطر إليه، وهو يستعمل للعرض أيضاً والتوبيخ والتندم والتمني على المجاز أو الكناية، ويحق للفعل بعدها أن يكون مضارعاً وهنا جاء ماضياً لتأكيد إيقاعه في دعاء الداعي وكأنه تحقق، ووصف (الأجل) بـ(قريب) تمهيد لتحصيل الاستجابة بناء على ما تعارف عليه الناس، وأن الأمر اليسير أرجى، لأن يستجيبه المسؤول فيغلب على شعورهم حيث يسألون الله وتنساق بذلك نفوسهم حين عرفوا[54].

وجاء الفعل (فأصدق) منصوب على إضمار (أنْ) المصدرية إضماراً واجباً في جواب الطلب، وقوله (وأكن) اختلف فيه القراء، فالجمهور قرأوه مجزوماً بسكون آخره باعتباره جواباً للطلب مباشرة وذلك لعدم وجود فاء السببية فيه، واعتبار الواو عطفت جملة على جملة، و لم تعطف مفرد على مفرد، قصداً لتضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل الشرط، والتقدير: إن تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين، جامعاً بين التسبب المفاد بالفاء، والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل[55].

وإذا كان الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الذين وقع أحدهما بعد فاء السببية، والآخر بعد الواو العاطفة عليه، فأفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا الفعلين، وذلك راجع إلى حسن الاحتباك، فكأنه قيل: لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدّق وأكون من الصالحين، إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدّق وأكنْ من الصالحين[56]، انسجم الأسلوب البلاغي والنحوي حيث أشار إلى عظمة التصدّق والإنفاق قبل الموت، كون النفقة من رزق الله وتعظيم شعائره بجانب ذكره دون الانشغال بالولد والمال يُلحِق المؤمن بالصالحين يوم القيامة، فجاء الحديث بأسلوب واضح وبليغ.

وفي هذا الاستعمال لطائف نحو أن هذا السائل بعد حث سؤاله أعقبه بأن الأمر ممكن، فقال: إن تؤخرني إلى أجل قريب أصدّق وأكن من الصالحين، وهو من بدائع الاستعمال القرآني قصد الإيجاز وتوفير المعاني، ووجّه أبو علي الفارسي والزّجاج قراءة الجمهور بجعل (وأكن) معطوفاً على محل (فأصدق) وقراءة أبو عمرو وحده من بين العشرة (وأكون) بالنصب والقراءة رواية متواترة، وإن كانت تخالف رسم المصاحف المتواترة، وقيل إنها يوافقها رسم مصحف أبيّ بن كعب ومصحف ابن مسعود، واعتذر أبو عمرو عن مخالفة قراءته للمصحف بأن الواو حذفت في الخط اختصاراً يريد أنهم حذفوا صورة إشباع الضمة وهو الواو اعتماداً على نطق القارئ، وتحذف الألف اختصاراً بكثرة في المصاحف[57].

والاعتراض في آخر الكلام بالواو وتذكير للمؤمنين بالأجل لكل روح عند حلولها في جسدها، عندما يؤمر الملك النافخ للروح يكتب من أجله و عمله ورزقه وشقي أو سعيد، لذا الأجل هو المدة المعينة لحياته لا يؤخر عن أمده فإذا حضر الموت كان دعاء المؤمن لله بتأخير أجله من الدعاء الذي استجاب لأن الله قدر الآجال وهذا سر عظيم لا يعلم حكمة تحديده إلا الله تعالى[58].

ومعنى النفس: الروح، وسميت بذلك أخذاً من النفس بفتح الفاء، وهو الهواء الخارج من الأنف والفم من كل حيوان ذي رئة، ولأن النفس يتولد منها، وسُميت مرادف النفس روحاً لأخذه من الروح بفتح الراء لأن الرّوح به، وأجلها: الوقت المحدد لبقائها في الهيكل الإنساني.

ويجوز أن تعني بالنفس الذات، أي شخص الإنسان وهو من معاني النفس[59].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ (9) وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ(10)﴾ [60].

في هاتين الآيتين أسرار تعبيرية بديعة، فقد نهى الله فيهما عن الانشغال بأمر الأموال والتصرف فيها، والسعي في تدبير أمرها، والانشغال بالأولاد لدرجة الغفلة عن ذكر الله، وإيثار ذلك عليه فمن يفعل ذلك خسر خسارة عظيمة[61].

وهذا ما تعنيه الآية إجمالاً إلا أنه هناك بعض الأسرار التعبيرية التي تدعو إلى التأمل منها:

1- قوله: (لا تلهكم أموالكم) فمعنى (لا تلهكم): لا تشغلكم[62]، وعدم قول (لا تشغلكم) لأن من الشغل ما هو محمود فقد الشغل في حق كما جاء في الحديث: "إن الصلاة لشغلاً"، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾[63] أما الإلهاء فيما لا خير فيه فهو مذموم على وجه العموم، لذا اختار ما هو أحق بالنهي.

2- أُسند الإلهاء إلى الأموال والأولاد فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) فنهى الأموال عن إلهاء المؤمن، والمراد الحقيقي هو نهي المؤمن عن الالتهاء بما ذُكِر والمعنى: لا تلتهوا بالمال والأولاد عن ذكر الله، وهو من باب النهي عن الشيء ويُراد غيره، نحو قوله ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾[64] فنهى الحياة الدنيا عن غير المؤمن والمراد نهي المؤمن من الاغترار بالدنيا[65].

لغة المنهي هو الفاعل نحو لقول: (لا يضرب محمودٌ خالداً) فـ(محمود) هو المنهي عن ضرب خالد، ونحو قوله تعالى ﴿ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ﴾[66] فالقوم هم المنهيون، وكذلك النساء، فالفاعل هو المنهي وليس المفعول به، والفاعل في الآية هو الأموال والأولاد، أما المخاطبون فمفعول به، لذا المنهي هي الأموال والأولاد، وهي منهية عن إلهاء المؤمن[67].

وعدم قول: لا تلتهوا بالأموال والأولاد على أصل المعنى كون أن هذا العدول له فوائد منها: أنه نهى الأموال عن التعرض للمؤمن وإلهائه عن ذكر الله فكأنه قال: أيها الأموال لا تلهي المؤمن عن ذكري، وكأن الله يريد حماية المؤمن وذلك بنهي السبب عن أن يتعرض له فكيف عن التعرض، وهذا النهي فيه مبالغة، لأن المراد نهي المؤمن، ولكنه بدأ بالأصل في المسألة وهي الأموال والأولاد

فنهاها هي عن التعرض للمؤمن بما يلهيه فجعل الله المؤمن كأنه مطلوب من قبل الأموال والأولاد تسعى لإلهائه وفتنته فنهاها عن السعي لذلك لينقطع سبب الإلتهاء ويقمعه[68].

ومنها : أن فيه إهابة للمؤمن لكي لا يقع في شرك الأموال أو الأولاد بحيث تلهيه وهو غافل مسلوب الإرادة، لذا تسبب الالهاء ليأخذ المؤمن حذره منها، فكأن الأموال والأولاد يقومون بنصب الشرك ليلهوه عن ذكر الله، لذا عليه الحذر من الوقوع فيه كأن تقول: (لا يخدعك فلان) فإن في ذلك إهابة لأخذ الحذر منه[69].

يُضاف إلى ذلك ما فيه من التعبير المجازي اللطيف، وهو إسناد الالهاء إلى الأموال فجعلها عاقلة مريدة تنصب الشرك ليقع المؤمن في الفخ، وجاء في المراد بالنهي هو نهي الأموال وما بعدها نهي المخاطبين، وتوجيه النهي إليها جاء المبالغة، كونها لقوة تسببها للهو وشدة مدخليتها فيه، جعلت كأنها لاهية، وقد نهيت في اللهو، الأصل لا تلهوا بأموالكم ولا أولادكم، فالتجوز في الإسناد قيل : إنه تجوز بالسبب عن المسبب نحو قوله :(فلا يكن في صدرك خرج) بمعنى: لا تكونوا بحيث تلهيكم أموالكم[70].

3. جاء بـ(لا) بعد حرف العطف فقال: (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) و لم يقل: (أموالكم وأولادكم) كون الأموال والأولاد وداع من دواعي الإلهاء، ولو قال : (أموالكم وأولادكم) لاحتمل أن يكون النهي دواعي الالهاء عن الجمع بينهما، فلو لم يجمع بينهما جاز، فجاز الانشغال بالحال وحده، وجاز الانشغال بالأولاد وحدهم، فالمراد هنا عدم الانشغال بأي واحد منهما على سبيل الانفراد أو الاجتماع[71].

4. قُدِمت الأموال على الأولاد لأنها تلهي أكثر من الأولاد، فالانشغال فيها وفي تنميتها يستدعي وقتاً طويلاً وينشغل بها عن أهله فلا يراهم لذا قدمت الأموال.

5. تقدم المفضول على الفاضل، فالأولاد أفضل من الأموال، لأن المال في خدمتهم وهو متروك لهم، ويكون ذلك الأكثر من سبب، منها المقام مقام الهاء فاستدعى تقديهما.

ومنها: اقتضاء المقام لذلك من جهة أخرى، فهذا التقديم نظير التقديم في الآية اللاحقة من تقديم المفضول وهو قوله:

(فأصدق وأكن من الصالحين) فقدم الصدقة على كونه من الصالحين[72].

ولما تقدم النهي عن الإلتهاء بالمال قدم الصدقة، هي إخراج المال من اليد والقلب، والتهاء هو انشغال به بالقلب والوقت والجارحة.

وقوله :(عن ذكر الله)، وقوله: (وأكن من الصالحين) كون المنشغل عن الفرائض وذكر الله ليس من الصالحين، فهو تناظر جميل[73].

ويُلحظ أنه حيث اجتمع المال والولد في القرآن الكريم، قُدّم المال على الولد إلا في موطن واحد، في قوله تعالى : (شغلتنا أموالنا وأهلونا)[74]، وقوله: (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)[75]، وقوله:

(وجعلت له مالاً ممدوداً(12) وبنين شهوداً)[76]، ونحو ذلك، كون المال في هذه المواطن أدعى إلى التقديم، إما لأن الانشغال به أكثر، أو لأنه أدعى إلى الزينة والتفاخر وما إلى ذلك من المواطن التي تقتضي تقديم الأموال[77].

وفي هذا المجال تم تقديم مجموع القرابات من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، فهؤلاء بمجموعهم أحب إلى المرء من المال، فالأبناء وحدهم ميزانهم أثقل من الآباء والأموال، فكيف إذا اجتمع معهم ما اجتمع ممن يحب. [78]

6. قال: (ومن يفعل ذلك)، و لم يقل : (ومن تلهه تلك) فنسب الفعل إلى الشخص، ليشكل بذلك جزاءه ولئلا يفهم أنه ليس بمقدور الشخص الانصراف عن اللهو، وأنه غير مسئول عن هذا الإلتهاء، فقوله : (ومن بفعل ذلك) دلالة على أن ذلك بمقدور، وهذا من فعله وكسبه، فالالتهاء ليس أمراً سلبياً، بل فعل يقوم به الشخص وينال جزاءه عليه[79].

7. وجاء بالفعل المضارع فقال: (ومن يفعل) دلالة على استمرار الحدث وتكراره، و لم يقل: (ومن فعل) بالماضي، لأن الإلتهاء بالأموال والأولاد أمر يومي ومتكرر، لذا عبر عنه الفعل المضارع الدال على التكرار والتطاول[80]، ولو قال: (ومن فعل) لاحتمل ذلك الخسران الكبير، إنما يقع ولو بفعله مرة واحدة وذلك غير المراد، ليتناسب الفعل والجزاء، إذ ليس من المعقول أن يكون ذلك الخسران الكبير، ودل عليه بالجملة الاسمية والقصر لكونه وقع مرة واحدة من الالتهاء فالمناسب أن يكون ذلك لتكرار حصوله وتطاوله.

8. بعد ذلك قال: (فأولئك هم الخاسرون) فاختيار الخسران نهاية للآية أنسب شيء، فهو المناسب للالتهاء بالأموال والانشغال بها، فالذي ينشغل بالمال يريد الربح، وتنمية المال، فقيل له: إن هذا خسران وليس ربحاً حيث باع العظيم الباقي بالحقير الفاني[81].

9. الإتيان بضمير الفصل (هم) بين المبتدأ والخبر وتعريف (الخاسرون) بأل، يفيدان القصر والتأكيد، بمعنى هؤلاء هم فقط الخاسرون حقاً لا غيرهم، وهم، ألأولى بأن يسموا خاسرين، فلم يقل : (فأولئك خاسرون) أو من الخاسرين، ولو قال لأفاد ذلك أن خسارتهم قد تكون قليلة أو قد يشاركهم فيها غيرهم، بل قال: (فأولئك هم الخاسرون) ليدل على أنهم هم الخاسرون، دون غيرهم وهم المتصفون بالخسارة الأقصى حد[82]، وفي التعريف بالإشارة والحصر للخسران فيهم، وفي تكرير الإسناد وتوسيط ضمير الفصل مالا يخفى من المبالغة[83].

10. اختار الالهاء عن ذكر الله دون غيره من العبادات، فلم يقل مثلا: لا تلهكم عن الصلاة أو عن الجهاد أو غير ذلك من العبادات، لأن ذكر الله يشمل جميع الفرائض، فالعمل الذي تعمله لا يكون لله إلا إذا ذكرت الله في نفسك أو على لسانك أو تستحضره في قلبك لذا قد يكون الذكر في اللسان قال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة)[84]، وقال : (وأقم الصلاة

لذكري)[85]، فذكر الله عام في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغيره من الدعاء لـــذا تناسب كون الخسران كبير مع عظم المعصية[86]، ما سبق ذكره هو دلالة على رُقي الأســـلوب الفـــني للقرآن الكريم، حيث تحدث بأسلوب سلسل يوضح فيه النهي والحثّ، نهى عن الانشـــغال بـــالأولاد والأموال عن ذكر الله لكيلا يكون من الخاسرين، وحثّ على النفقة من رزق الله والتصدّق لوجهـــه الكريم حتى يبلغ أن يكون من الصالحين وهو سبيل الفوز في الدنيا والآخرة.

11. (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)[87]

جاءت (لن) لتأكيد نفي التأخير، وفي سياق النفي نفوس المؤمنين وغيرهم، ومجيء الأجـــل بحلول الوقت المحدد للاتصال بين الروح والجسد وهو ما علمه الله من طاقة البدن للبقاء حياً بحســـب قواه وسلامته من العوارض المهلكة[88].

وهو إرشاد من الله للمؤمنين ليكونوا مستعدين للموت في كل وقت، فلا يؤخروا ما يهمهم عمله سؤال ثوابه فلا أحد يؤخر العمل الذي يسره أن يعمله وينال ثوابه إلا وهو معرض للموت عـــن قريب أو يفاجئه، لذا عليه بالاحتراز الشديد من هذا التفريط في كل وقت وحال فربما يتعـــذر عليـــه الاستدراك بفجأة الفوات، فإن كانت نفسه لم تطاوعه على العمل الصالح قبل الفوات فكيف يتســـنى تأخير الأجل المحتوم.[89]

والعطف على جملة (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) أو تذييل والواو اعتراضية، ويفيد بناء الخبر على الجملة الاسمية تحقيق علم الله بما يعمله المؤمنين، ولأن المؤمنين، لم يخامرهم الشك في ذلـــك كان التحقيق والتقوى راجع إلى لازم الخبر وهو الوعد وهنا المقام مقامهما، كون الانفاق المأمور بـــه منه الواجب المندوب، وفعلهما يستحق الوعد، وترك أولهما يستحق الوعيد[90].

وتم إيثار وصف (خبير) دون: عليم، لما تؤذن، مادة (خبير) من العلم بالأمور الخفية ليفيـــد أنه الله تعالى عليهم بما ظهر من الاعمال وما بطن نحو: أعمال القلب التي هي العزائم والنيات، وإيقاع هذه الجملة جاء بعد ذكر ما يقطعه الموت من زيادة الأعمال الصالحة، إيماء إلى ما يقطعه الموت مـــن العزم على العمل إذا كان وقته المعين له شرعاً ممتداً كالعمر للحج على المستطيع لمن لم يتوقع مـــانع، والوقت المختار للصلوات، إن حال الموت دون إتمامه لا يرزئ المؤمن ثوابه، كون المـــؤمن إذا اعتـــاد حزباً أو عزم على عمل صالح، ثم عرض له ما يمنعه منه، إن الله يعطيه أجره، ومن هذا القبيل: أنّ مـــن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة كما في الحديث الصحيح[91]، وختاماً يرى الباحث أن السورة جمعت بين الأساليب البلاغية والنحوية بشكل متناسق ومتناغم في انتقاله مـــن موضـــوع لآخر، حيث أبرز الأسلوب الإعجاز القرآني وجماليته البديعة.

الخاتمة

ثم الوقوف على مجموعة من النتائج أهمها:

1. من خلال عنوان البحث ومتابعة الأسلوب البلاغي الفني في سورة المنافقون تبين أنها نزلت لسبب معين وهو بيان حال المنافقون الذين يظهرون المروة والسلام للمؤمنين ويقنون العداء لهم.
2. كان الأسلوب البلاغي لسورة المنافقون، أسلوب يفضح ما تخفيه نفوسهم بعدة وسائل: كالتقديم والتأخير والفصل الوصل وغير ذلك من الأساليب الفنية الأخرى.
3. جاء الأسلوب البياني متمثلاً في الاستعارة والتشبيه لإبراز ما تحمله ثنايا السورة من الإعجاز القرآني وتأخيرها في كشف خفايا ما تكنه صدور المنافقين.

هوامش البحث:

(1) سورة المنافقون، الآية 1.

(2) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار السداد التونسية للنشر، تـــونس، ج28، د. ط، 1984م: 234.

(3) ينظر: المصدر السابق: 235.

(4) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 235.

(5) ينظر: المصدر السابق: 235.

(6) نفسه: 236.

(7) سورة المنافقون، الآية 2.

(8) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

(9) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: 236.

(10) ينظر: المصدر السابق: 236.

(11) ينظر: تفسير التحرير، مصدر سابق: 236.

(12) ينظر: المصدر السابق 236.

(13) سورة المنافقون، الآية 3.

(14) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 237.

(15) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 237.

(16) ينظر: المصدر السابق: 238.

(17) نفسه: 238.

(18) سورة المنافقون، الآية 4.

(19) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 239.

(20) ينظر: المصدر السابق: 239- 240.

(21) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق.

(22) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 240.

(23) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 240- 241.

(24) ينظر: المصدر السابق: 241.

(25) نفسه: 241.

(26) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 242.

(27) ينظر: المصدر السابق، 243.

(28) سورة المنافقون، الآية 5.

(29) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 244.

(30) ينظر: المصدر السابق: 244.

(31) سورة المنافقون، الآية 6.

(32) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 245.

(33) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، المصدر السابق: 245- 246.

(34) ينظر: المصدر السابق: 246.

(35) سورة المنافقون، الآية 7.

(36) غزوة بني المصطلق: وهي الغزوة التي وقعت بين المسلمين وبين قبيلة بني المصطلق، وهي غزوة تحمل اسمين اسم غزوة بني المصطلق، واسم(المريسيع)؛ حيث اسم المريسيع نسبة للمكان الذي وقعت فيه المعركة، والغزوة باسم القبيلة. ينظر: كتاب السيرة النبوية، راغب السرجاني، المكتبة الشاملة:29.

(37) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 247.

(38) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 247

(39) ينظر: المصدر السابق: 247 – 248.

(40) سورة المنافقون، الآية 8.

(41) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 248.

(42) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 248.

(43) ينظر: المصدر السابق: 248.

(44) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 248- 249.

(45) ينظر: المصدر السابق: 250.

(46) نفسه: 251.

(47) سورة المنافقون، الآية 9.

(48) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 251.

(49) ينظر: المصدر السابق: 251- 252.

(50) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق : 252.

(51) سورة المنافقون، الآية 10.

(52) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 252- 253.

(53) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 253.

(54) ينظر: المصدر السابق: 253.

(55) نفسه : 254.

(56) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 254.

(57) ينظر: المصدر السابق 255.

(58) نفسه: 254- 255.

(59) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 255.

(60) سورة المنافقون، الآيات 9- 10.

(61) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2003م: 178.

(62) ينظر: تفسير الكشاف، الزمخشري، وبحواشيه أربعة كتب، تر: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م: 235/3..

(63) سورة يس، الآية 55.

(64) سورة لقمان، الآية 33.

(65) ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق، 178- 179.

(66) سورة الحجرات، الآية 11.

(67) ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق: 179.

(68) ينظر: المصدر السابق: 180.

69 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق، 180.

70 ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الثناء شهاب الدين الألوسي البغدادي، تح: أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، م 13، المكتبة التوفيقية، د ـــ ت: 117.

71 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق: 181.

72 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق: 181.

73 ينظر: المصدر السابق: 181.
74 الفتح: آية – 11.
75 الكهف: أية – 46.
76 المدثر: أية – 12 – 13.
77 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق: 182.
78 ينظر: المصدر السابق، 182.
79 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق، 183.
80 ينظر: المصدر السابق، 183.
81 نفسه: 183.
82 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق: 184.
83 ينظر: روح المعاني، مصدر سابق، ج28، 117.
84 الأعراف آية: 205
85 طه، آية: 14.
86 ينظر: لمسات بيانية، مصدر سابق، 184.
87 المنافقون: آية – 11.
88 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، 255 – 256.
89 ينظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، 256.
90 ينظر: المصدر السابق، 256.
91 نفسه، 256.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار السداد التونسية للنشر، تـــونس، ج28، (د. ط)، 1984م.
3. تفسير الكشاف، الزمخشري، وبحواشيه أربعة كتب، ترجمة، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 1995م.
4. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، دار عمـــار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2003م.
5. لسان العرب، بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد الشيرازي البيضاوي، تحقيق، محمود عبد القادر الارناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

7. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الثناء شهاب الدين الالوسي البغدادي، تح، أبو عبد الرحمن فؤاد بن سراج عبد الغفار، م13، المكتبة التوفيقية.